

واقع العلاقات السياسية والأمنية بين الجزائر وتركيا من التأسيس الى ما بعد الاستقلال (مقاربة سوسيوتاريخية)



د. حنصالي يوسف

أ. حنصالي حسناء

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ، جامعة مصراته

جامعة تلمسان- مقيم بكندا

ليبيا

تاريخ الاستلام: 2023/08/13

تاريخ المراجعة: 2023/09/04

تاريخ النشر: 2023/12/30

ملخص:

تعتبر العلاقات السياسية والعسكرية التي ربطت إيالة الجزائر بتركيا بمثابة الحبال القوية التي تشد شمال افريقيا الى اقليم الاناضول منذ عهد الباب العالي، كما يمتد تاريخ هذا الوثاق الى أول عهد للبرليبايات بداية من خير الدين بربروسا سنة 1518م الى ما بعد الاستقلال، وقد عرفت عدة مميزات كما طالتها عدة تحولات. حيث عرفت العلاقات الجزائرية التركية تطورا فريدا خلال فترة الوجود العثماني ودرعه العسكري ممثلا في الجيش الإنكشاري، وهذا ما منحها سلطة واسعة على البحر المتوسط، وبوابة تشرف من خلالها على العمق الافريقي، وما يزال الحنين لذلك العهد حلما يستحضره مخيال كلا الضفتين. على ضوء ما سلف انصب اهتمامنا على دراسة مختلف التحالفات، انطلاقا من سلاطين الخلافة العثمانية الى عهد الدولتين التركية والجزائرية، ودورها في بناء وتوطيد العلاقة بين المجتمعين وكلا الحكومتين.

الكلمات المفتاحية: الاخوة بارباروس، البارليبايات، الدولة العثمانية، الدولة الجزائرية.

Abstract :

The political and military relations that linked the Eyalet of Algeria with Turkey are considered as the strong ropes that pull North Africa to the Anatolian region since the era of the Sublime Porte. It underwent several transformations. Where the Algerian-Turkish relations witnessed a unique development during the period of the Ottoman presence and its military shield represented by the Janissary army, and this gave it wide authority over the Mediterranean, and a gateway through which

it overlooks the African depth, and the nostalgia for that era is still a dream conjured by the imagination of both banks. In light of the foregoing, our interest focused on studying the various alliances, starting from the sultans of the Ottoman Caliphate to the era of the Turkish and Algerian states, and their role in building and consolidating the relationship between the two societies and both governments.

Keywords: Brothers Barbarossa, Beylerbeys, The Ottoman State, the Algerian State.

مقدمة:

تمثل العلاقات الجزائرية التركية ركنا هاما، وتشغل حيزا واسعا في تاريخ كلا الدولتين، وذلك انطلاقا من التشابك التاريخي الذي بدت أولى معالمه بالتزامن مع سقوط آخر قلاع الأندلس، وتولي الملكين الكاثوليكين مقاليد السلطة فيها، بعد عقد معاهدة في شهر سبتمبر 1491م، تقضي بتسليم مفاتيح قصر الحمراء بين أبي عبد الله آخر أمراء بنو الأحمر، وعن الجانب المسيحي الملك فرديناند برفقة زوجته ايزابيلا بعد توحيد المملكتين: قشتالة والأرغون، لتكون سارية المفعول بتاريخ الثالث من شهر يناير من سنة 1492م. وتلت ذلك السقوط حملات التهجير التي طالت المسلمين الموريسكيين واليهود، حيث سهرت على تنفيذها محاكم التفتيش بطابعها المسيحي المتشدد، وهذا بعد اخلالها ببنود تلك المعاهدة، التي تحفظ للمورسكيين حقوقهم وممتلكاتهم، وممارساتهم الدينية. وقد امتدت اطماع المملكة الاسبانية الكاثوليكية الى شمال افريقيا بعد مصادرة أملاك المسلمين وملاحقة الفارين من القهر والتنكيل الذي يرقى الى مستوى جرائم ضد الإنسانية مكتملة الأركان. "ومن المعروف أن الجزائر قد تعاقب على حكمها بدءا من الألف قبل الميلاد ولغاية القرن السادس عشر، الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون والعرب المسلمون. وفي القرن السادس عشر انطوت تحت الحكم العثماني. وقبل حلول العثمانيين في المنطقة تعرضت افريقيا الشمالية الى الاحتلال الاسباني (صاريداي، 2010، صفحة 9)، الذي كان سببا رئيسيا في قدوم الحملة الأولى للعثمانيين الى المنطقة، وذلك بعد " توجه الاسبان نحو افريقيا الشمالية واحتلوا أجزاء واسعة منها: فبين سنتي 1505م-1513م أدخلوا تحت سيطرتهم كلا من المرسى الكبير، وهران، بجاية، وتلمسان. ولم تكن

في المنطقة أي قوة بوسعها التصدي لهم وإيقافهم، الى أن برز في المنطقة الاخوة بارباروس: خضر ريس و اوروج(عروج) ريس. " (صاريداي، 2010، صفحة 9) اللذان كانا بمثابة قوة بحرية ناشئة في حوض المتوسط وبحر ايجة. حيث قدما الأخوين الى جزيرة جربة في بداية رحلتهم لاستطلاع المنطقة واستكشاف احوالها، ولكن قدوم الإسلام الى شمال افريقيا، الذي سبق قوم الاخوين برباروسا، كان عاملا لكسب الثقة وتوطئة العلاقة التي ستجعل من الوافدين شركاء في التاريخ والسياسة لقرون من الزمن، والتي ستغير من ديمغرافية المنطقة وتركيبها الاجتماعية بمختلف ابعادها.

ولكن نقص الدعم والعتاد الذي وقف عائقا أمام استقرار وتقدم الأخوين بابا عروج وخير الدين، أجبرهما للدخول تحت حماية قوة إقليمية ودولية ذات سلطة ونفوذ، وهذا ما جعل الدولة العثمانية خيارا مثاليا بامتياز. وعلى إثر هذا التحالف الذي جاء في زمن عرف فيه شمال افريقية وهنا وتدهورا كبيرين على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، لتتطلق حملات استرداد السواحل الغربية لأفريقيا من تونس الى تلمسان بأقصى الغرب الجزائري، وطرد الاسبان منها. ولهذا الغرض بدأ التحضير لتلك العملية بداية من سواحل جيجل، تحت شعارات تدعو الى الجهاد، وتعبئة المقاومة تحت راية الدين والجهاد في سبيل الله، وتخليص البلاد من الدنس الاسباني الكاثوليكي، "حيث كان التعصب الديني، والرغبة في نشر المسيحية وكذلك الرغبة في زحزحة حدود الإسلام يدفع الاسبان منذ أواخر القرن 1 الخامس عشر، وطوال القرن السادس عشر الى التدخل في البلاد الإسلامية بشمال افريقيا. " (حنيفي، 2017، صفحة 58 الى 80). ولهذا فقد كان القرن 16م قرنا محوريا، فقد شهد تحولا كبيرا جدا على جميع المستويات، ويعرف أيضا بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو ولا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية، و صياغة التكتلات العسكرية والاقليمية الجديدة، وهو أيضا قرن التحالفات الظرفية، والذي يعتبر بداية للتحالف الجزائري التركي، والذي صنع مزيجا على مرّ القرون، تغيرت على اثره التركيبة الاجتماعية المحلية، ونشأ نظام حكم جديد، عرفت في ظله الجزائر عدة تحولات سياسية على مستوى المنظومة الحاكمة عرفت أول عهد للبرلبربايات ثم عهد الباشوات يليه عهد الأغاوات الذي لم يعمر طويلا، يليه آخر عهد للدايات، والذي انتهى بسقوط عرش الداوي حسين في 5 جويلية سنة 1830م ليحل محله الاحتلال الفرنسي الى غاية 5 جويلية 1962م. وعلى ذكر ما سبق فقد بنينا موضوع دراستنا على ضوء السؤال الاتي:

الى أي مدى قد ساهمت الدولة العثمانية في بناء الايالة الجزائرية وتعزيز مظاهر سيادتها منذ قدومها الى سواحل افريقيا الغربية؟

1- عهد التأسيس وبداياته:

لقد مرت الجزائر منذ انضمامها للدولة العثمانية بأربع مراحل سبق ذكرها، حيث اختلفت مدة كل منها حسب الظروف والأوضاع التي عرفتھا السلطة آنذاك، فكانت البداية مع عهد البايليربايات (1519-1587)، وتعتبر هذه المرحلة أولى الخطوات لعثمان الجزائر، ثم طرابلس الغرب وانتهت في تونس، وجاءت في اعقاب التناحر الداخلي الذي عرفته دول غرب افريقية آنذاك، "وكان سقوط الدولة المؤمنية وقيام ثلاث دول مكانها هم: الحفصيون والزيانيون والمرينيون. لم تعترف هذه الدول بعضها لبعض بالاستقلال فاستمرت الحروب بينهم وربما وقعت الحرب بين الأمراء المرشحين للملك في الدولة الواحدة. وتقاربت قواهم الحربية والسياسية فلم ينحسم النزاع." (الميلي، 1940م، صفحة 354). ليسطع نجم الأخوين بربروس، ويبدأ بقدمهم الى الجزائر عهد جديد، سيحسم كل المعارك سواء مع العدو الداخلي أو الخارجي لصالحهم. ولتثبيت أقدامهم في البر بعد البحر، فقد طغت على هذه المرحلة فكرة المقاومة في إطار الجهاد المقدس، وقابلته حملة صليبية بمباركة الكنيسة الكاثوليكية، ومن بين ما يحمل تلك الصبغة الدينية التي طبعت تلك الحقبة، كتاب أحد الجواسيس الاسبان الذين بعث بهم فرديناند للقيام باستطلاعات ببلاد المغرب، فبعث بتقرير جاء فيه: "ان كامل بلاد شمال افريقيا تحتازه فترة من الانهيار النفسي، ويظهر معها أن الله قد أراد أن يجعل هذه البلاد ملكا لصاحبي الجلالة" (العسلي، 1980م، صفحة 56). عقب الصدام المحتدم بين الإسلام ممثلا من طرف الجزائريين وحلفائهم الأتراك، والمسيحية ممثلة من طرف الملوك الاسبان وحلفائهم الأوربيين، ما جعل التعبئة والالتحام بين الاتراك العثمانيين والسكان المحليين فعلا طبيعيا، وعاملا إيجابيا لتمكين العثمانيين من السلطة وكسب الثقة والشرعية السياسية من طرف الجزائريين. إضافة لتلك العوامل فقد كان المغرب الأوسط يعاني من عدة نعارات قبلية وتجزئة إدارية، في ظل النظام الاجتماعي القبلي، الذي تمت مجابهته والقضاء عليه من طرف الاخوين بربروسا، بعد أن لقوا دعما مطلقا من طرف شيوخ الطرق الدينية الناطقين باسم العروش والقبائل، وترحيبا من طرف سكان الجزائر، بعد أن ضاقت بهم السبل، وانهارت قواهم أمام الهجمات الاسبانية المتتالية، وهناك من قبلوا بدفع الجزية مكرهين كميناء: دلس ومستغانم وشرشال (وهذا ما يدل على تلك التجزئة

والانقسام الداخلي، وغياب حكم مركزي خلال تلك الفترة التي تلت سقوط الأندلس)، وكانت تستعمل تلك الأموال بدورها في تثبيت الاحتلال وتوسعه، مما سهّل على الاسبان التحكم في المناطق المستعمرة وادارتها، ومن أهم الأنشطة التي تمت تغطية تكاليفها من تلك الأموال: الحامية التي بنيت في عهد "بيدرو نافارو Pedro Navaro" على أرض جزيرة مقابلة لميناء الجزائر، وسميت : البانيو penon لحماية ومراقبة انشطت. وهذا ما ذكره احمد توفيق المدني في كتابه "الجزائر اليوم": "ولما ضعفت الدولة الزيانية وتكالب عليها الاسبان على سواحل افريقيا، احتلوا الجزائر وأسس بيدرو نفارو حصنا في أكبر جزائرها (مكان برج الفنار اليوم) يبعد عن المدينة نحو 300متر ويجعلها دائما تحت تهديد مقذوفاته وذلك سنة 1510م وضاق اهل الجزائر ذرعا بالإهانة الاسبانية، فاستصرخوا لنجدتهم الأخوين بربروس خير الدين وعروج رايس، وكانا من أشد الناس صلابة في الايمان وأقواهم شكيمة في البحر، فعدما واحتلا الجزائر وكسرا الاسبانيين بإعانة من أهل المدينة شرّ كسرة سنة 1516م، واستعلى خير الدين ملكا على الجزائر، وازدانت أيامه بالعدل والخير، واعترف حتى أعدائه بفضائله وكمالاته. وحاول المسيحيون إعادة الكرة على المدينة، فردّتهم المدينة مذمومين مدحورين في سنة 1519م، وفي عام 1529م. (المدني، 1931، صفحة 207) وما زاد من قوة خير الدين بربروس (بعد خلافة أخيه عروج الذي قتل سنة 1518م)، اعتلاء العرش السلطاني من طرف أقوى سلاطين الدولة العثمانية "سليمان القانوني" سنة 1520م، الذي كانت فترة حكمه أطولهم مدة، حيث نازعت حكمه 46 سنة، كما تميز عهده بالتوسع وتمديد حدود السلطنة على حساب الدول الأوروبية غربا والقوقاز شمالا، حيث سميت تلك الفترة التي امتدت ما بين نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن السابع عشر بالعصر الذهبي للدولة العثمانية.

2- عهد القوة ومرتقياته:

عرفت الدولة العثمانية مع نهاية القرن 15م (الذي صاحبه سقوط القسطنطينية في يد الجيش الإسلامي)، تطورا وازدهارا جعلها منها قوة إقليمية ودولية بامتياز، وهذا ما فتح للسلاطين مجالا لبناء اساطيل بحرية، لهدف فرض سيطرتهم على البحر. ومن اجل تحقيق هذا المسعى فقد كان الاخوة عروج وخير الدين من أهم القوى التي استفادت من السفن والأسلحة العثمانية، التي اخذت وجهتها الى شمال افريقيا، لغرض فكّ الحصار عنها، بعد خضوع السلطان الحفصي بتونس (أبو عبد الله عم المتوكل) للقوات الاسبانية التي أصبحت تمارس القرصنة

وبسّطت نفوذها على الجهة الغربية للمتوسط. كما أجبرت الجزائر على الخضوع، بعد أن "أصبحت مطوقة من الشرق ومن الغرب (بجاية ووهران)، وتعهد حاكمها (الشيخ سالم بن التومي) بدفع الجزية، وموافقة أهلها على تسليم جزيرة (اسطفلة) المقابلة للجزائر من أجل إقامة قاعدة بحرية إسبانية." (العسلي، 1980م، صفحة 69/68) ولكن نزول أصحاب اللحي الشقراء بسواحل الغرب الأفريقي قلب الموازين، إذ أنهم استطاعوا فرض سيطرتهم على البحر، بعد مناوشات ومعارك مع القوى الأوروبية المدعمة من الكنيسة الكاثوليكية، التي جعلت من احتلال شمال إفريقية مشروعاً دينياً وواجباً مقدساً، في الوقت الذي غضت فيه الطرف عن تجارة الرقيق ومنح رخص لممارسة هذا النشاط من طرف الملك شارلكان، رغم معارضتها له، كما "أدت هذه الحرفة إلى نقل ما يقرب من ثلاثين مليون إفريقي إلى العالم الجديد." (العسلي، 1980م، صفحة 77)

واستمر النشاط العسكري للأخوين عروج وخير الدين بعد أن لقي الدعم اللوجستي من طرف الباب العالي، والتضحية والترحيب من طرف سكان الجزائر، وقد كانت معركة بجاية أول اشتباك لاختبار الثقة والقدرة لكلا الطرفين، حيث كانت العملية العسكرية الأولى إنذاراً للإسبان، الذين عرفوا من خلالها أن تلاحم وامتزاج القوى الجزائرية والتركية في البر والبحر، سيزيد من تعاضم قوة المسلمين. فقد أبدى أصحاب اللحي الشقراء لرجال القبائل الجبليين شدة مراسهم وعزمهم واقدامهم (خاصة وأن القائد عروج قد أظهر شجاعة وبسالة عظيمة رغم إصابته في ذراعه التي كسرت اثر الهجوم على الحامية الإسبانية ببجاية)، فكانت بداية التعارف والتعاون بين القوى التركية والقوى القومية المحلية، وقد اجبر هذا الاحتكاك الإسبان على طلب المزيد من الدعم والاسناد، وغيروا بالمقابل نظرتهم في الفصل بين القوى البحرية ممثلة في الأخوين عروج وخير الدين، والقوى البرية ممثلة في رجال القبائل الجبليين من سكان المغرب الإسلامي، وقد عرفت بداية القرن السادس عشر سلسلة من الغارات والاشتباكات بين الجيش الجزائري التركي والاحتلال الإسباني، وانتهت بطرده من كامل السواحل والمدن الإسلامية التي كان آخر قلاعها مدينة تلمسان غرباً (ابن فقد خير الدين أخاه عروج)، حيث أصبحت تدعى فيما بعد بالبلاد الجزائرية، وأول حاكم يعيّن عليها من طرف السلطان العثماني: البار لرباي خير الدين. وبهذا فقد حقق أصحاب اللحي الحمراء هدفين مزدوجين، تمثلاً في تحرير البلاد الإسلامية التي أصبحت تمثل قاعدة صلبة، وجبهة متقدمة للدفاع عن حدود الدولة العثمانية، كما تمكنا من بناء جيش ذو طابع نظامي يدعى: الإنكشارية، لتتطور مختلف فرقته البرية

وأساطيله البحرية، التي أصبحت قوة ضاربة ودرعا واقيا حتى بداية القرن 19م. ومن هنا يمكننا القول أنّ الاخوة "بربروس" قد جسّدوا مشروعا استراتيجيا، بعد انتساب الجزائر طواعية للباب العالي، وانخراطها في مشروع الدولة العثمانية، لتأخذ صبغة الدولة الوطنية ككيان سياسي بهويته الإسلامية العريقة، ولكن بخصوصيات فرضتها الظروف التاريخية والأوضاع الجيوسياسية آنذاك، لتتطور عبر العقود من ايلة داخل الدولة العثمانية، الى استقلال فعلي، الى سيادة رسمية، رسمت معالمها سنة فترة حكم الداوي "علي شاموش". "وذلك عندما رفض الداوي "علي" عام 1711م استقبال الباشا الجديد الذي عينه السلطان، ومنذ ذلك الحين لم يعد الداوي تابعا للسلطان العثماني، ولا مقيدا بقراراته كما كان الشأن في العهود الأولى، بل أصبح حليفا له، ويتبادل معه الهدايا في المناسبات" (شويتام، 2022، صفحة 108). كما حافظت الجزائر على التحالف الأمني والعسكري، ولم تتوان عن امداد الباب العالي بالدعم والاسناد، وشاركت في مختلف المعارك ضد القوى الصليبية حتى اخر معاركها، والذي أفقدها اقوى قطعها البحرية، في معركة نافارين سنة 1827م.

ومن أهم الإنجازات التي حققها "خير الدين بربروس" ابان العهد الذهبي للدولة العثمانية في ظل حكم السلطان "سليمان القانوني":

- "قيادة الإمبراطورية العثمانية للنجاح في معركة "بريفيزا" في عام 1538م، حيث هزم فيها أسطول شارل الخامس، وأمن شرق البحر الأبيض المتوسط للأتراك خلال هذه المعركة.
- تمكن من جعل الجزائر جزءا من الدولة العثمانية في عام 1529م، كما أنّه تمكن من جعلها معقل كبير لقراصنة البحر الأبيض المتوسط. تمكن من ضم تونس إلى أراضي الدولة العثمانية بعد أنّ قام بغزوها في عام 1534م، وذلك في العام التالي الذي تم فيه تعيينه كأدميرال للإمبراطورية العثمانية.
- هزم القوات الموحدة الأوروبية بقيادة الإسبان.
- أوصل الملاحة العثمانية إلى ذروة قوتها، وقد استمرت هذه القوة لفترة من الوقت بفضل الملاحين الذين نشأوا في المدرسة التي بناها، وبفضل عملية بناء السفن المستمرة خلال تلك الفترة." (مرقه، 2022، صفحة أنترنت)

3- عهد القطيعة ومخلفاته:

لقد انطلق الصراع بين الجبهتين: الصليبية والإسلامية على سواحل الغرب الافريقي منذ وصول الاخوين "بربروس"، الذي يمثل بداية عهد البرلربايات، واستمر مع عهد الباشوات الى اخر عهد للدايات، الذي تمخضت عنه القطيعة والانفصال عن الأستانة، لتصبح الجزائر مستقلة عن الباب العالي في قراراتها وتسيير شؤونها، ولكن ذلك لم يمنع رياس البحر الذين تحول معظمهم الى نخب سياسية محلية، للبحث عن الآليات العملية لتثبيت حكمهم، والتحكم في زمام الأمور على الصعيد الداخلي. ومن أجل تحقيق مشروعهم السياسي فقد وضعوا نظاما إداريا محكما، أفضى الى تقسيم البلاد الجزائرية من الجانب الإداري الى أقاليم عرفت باسم: البايالك، وعلى رأس كل بايلك حاكم يسمى: "الباي". ليمكنهم هذا التنظيم من اخضاع معظم أجزاء البلاد لسلطتهم، وقد اكتمل الهيكل الإداري بتقسيم الجزائر الى أربعة أقاليم، إبان عهد "حسن بن خير الدين" في حدود سنة 1565م، وهي كالآتي:

1. دار السلطان وعاصمته مدينة الجزائر.

2. بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة.

3. بايلك التيطري وعاصمته المدية.

4. بايلك الغرب وعاصمته في البداية مازونة، ثم معسكر، لتصبح وهران على مرحلتين: الأولى سنة 1708م، ثم بعد تحريرها نهائيا من الاسبان سنة 1792م على يد الباي محمد الكبير.

ولتسيير شؤون الرعية وتنظيم حياة المجتمع المحلي، فقد تدعّمت هاته الأقاليم التي يحكمها بايات بصلاحيات واسعة بأجهزة أخرى، كجهاز القضاء الذي تولى أمره قضاة من الحنفية والمالكية، ووضع تحت سلطتهم عدد من الأعوان والكتّاب والمحضرون، الى جانب جهاز تسيير الأوقاف، الذي يشرف عليه مجموعة من النظار والوكلاء والشواش والمحتسبين برفقة المجلس العلمي. كما حافظت دار السلطان على الصلاحيات المركزية من خلال ديوانين، الديوان الضيق: المشكل من الداوي وكاتبه العام والمفتي وكبار ضباط الإنكشارية، والديوان الموسع: الذي يحمل صفة البرلمان، ويتشكل من كبار الضباط والموظفون السامون، وعدد من كبار العلماء والأعيان، ومجموعة من الرياس، ومهمتهم تتمثل في المصادقة على قرارات ومقترحات الديوان الصغير. ولم يعرف التقسيم الإداري

للجزائر تغييرا كبيرا الا بعد الاحتلال الفرنسي وما نتج عنه من قوانين غيرت من البنى الاجتماعية والإدارية للبلاد، ففي "أواخر شهر أبريل 1845م صدر مرسوم يؤكد الحاق الجزائر بفرنسا، ويقسمها الى ثلاث مناطق، وهي:

1. منطقة مدنية: تخضع للإدارة المدنية، وتشمل المدن والقرى الساحلية، التي يكثر فيها العنصر الأوروبي.
2. منطقة مزدوجة: يقل فيها العنصر الأوروبي، فيخضع الأوروبيون للحكم المدني، و(الأهالي) للحكم العسكري.
3. منطقة عسكرية: ينعدم فيها العنصر الأوروبي، وتشمل الهضاب العليا والأوراس والصحراء، فيخضع(الأهالي) للحكم العسكري الصرف. " (مطمر، 2003، صفحة 42)

ولذا فإنّ الوضع الاجتماعي والاقتصادي للجزائر في العهد العثماني يجسّد واقع البلاد الجزائرية، وما كانت تتمتاز به الأمة الجزائرية من كيان متميّز بالقوة ومقومات السيادة التي منحتها كامل الصلاحيات في ابرام المعاهدات وقرار الاتفاقيات وإقامة العلاقات، رغم السلبات التي تشكّل في غالب الأحيان صورة نمطية تلازم الأنظمة السياسية وأدائها، نتيجة الحتميات التي تفرضها طبيعة النظام السياسي، والعوامل المؤثرة على شتى جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية. نأخذ على سبيل المثال "النظام الإداري الذي كان يعكس بصدق الوضع الاجتماعي، فالمناصب ذات الدخل الوفير كانت محصورة في العنصر التركي، والمناصب ذات الدخل المتوسط كان ينفرد بها جماعة الكراغلة، والوظائف ذات المردود المتواضع كانت من نصيب الحضر، بينما الخدمات الشاقة العديمة الأهمية كانت توكل للجماعات الأخرى الموجودة بالمدينة والتي كانت تعرف بالبرانية" (سعيدوني، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر اثناء العهد العثماني، 1984، صفحة 22/21). ولكن ذلك لا يمنع من أنّ التنظيمات الإدارية للإيالة عبر مختلف مراحلها، كانت تستند الى تقاليد محلية متأصلة بالجزائر منذ الفترة الإسلامية السابقة، وأغلبها يرجع الى عهد الموحدين: كالمحتسب والقياد وشيوخ البلد...وبعضها مقتبس من النمط العثماني، لاسيما ما يتعلّق بالألقاب والرتب العسكرية وبعض الخدمات، وقد اتصف الجهاز الإداري رغم بساطته، بالفاعلية والمرونة، فهو بسيط في تنظيماته عملي في إجراءاته، يعتمد على توزيع صلاحيات الموظفين على مختلف المهام حسب ما تقتضيه الحاجة. " (سعيدوني، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر اثناء العهد العثماني، 1984، صفحة 22) وقد استمرت هذه البنى والتقسيمات الإدارية الى قدوم الاحتلال الفرنسي في الخامس من جويلية سنة 1830م.

4-الخاتمة:

لقد عاشت الدولة العثمانية ظروفًا لا تقل عسرة عن الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي لشمال إفريقيا، ورغم تلك الصعوبات فقد حاولوا دفع هذا الاحتلال بدعم المقاومة الشعبية، وكان أبرزها تلك التي قادها "الحاج احمد باي" بشرق البلاد، إلا أنّ بعد الايالة عن الحكومة المركزية زاد من تعقيد المهمة والبحث عن سبل الدعم والتموين بمختلف الوسائل الممكنة، ولكن أبواب تركيا ظلت مفتوحة أمام حملات الهجرة، ولكل من يرغب في مغادرة الجزائر، هروبًا من البطش والقمع الذي مارسه جيش الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه سواحل "سيدي فرج"، إضافة الى التغيير الديمغرافي وتوطين المعمّرين، بعد تأميم الأراضي والعقارات التي تمت مصادرتها من ملاكها الحقيقيين. "وتذكر المصادر أن الاحتلال الفرنسي قد أسكن حوالي مليون مستوطن في الجزائر، كما تسبب في تغيير مكان المستوطنات وتغيير موازنات التهجير. حيث جعل المواطنين الجزائريين _الذين سلبوهم أموالهم وعقاراتهم_ كمواطنين من الطبقة الدنيا وكان ذلك عام 1881م الموافق لتاريخ نشر القانون المسمى: "coted'indegenat" قانون الأهالي، وبعد الثورة التحريرية _التي دامت 7 سنوات_، ونيل الجزائر استقلالها عام 1962م. كان موقف الدولة التركية آنذاك تجاه استقلال الجزائر موقفًا محايدًا، لكن بعد مرور زمن توطدت العلاقات بين كلتا الدولتين الشقيقتين. " (يلماز، 2014، صفحة 45) كما يذكر الباحث التركي "شينا سي سونمز" في المقالة التي أعدها ضمن أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، معلقًا عن وجهة نظر الشعب التركي وتقييم الصحافة التركية للثورة الجزائرية: "بدأت التحاليل والتعليقات حول الأحداث في الصحافة التركية اعتبارًا من 1957م. وأثناء أحداث الجزائر كانت تمر فرنسا بأيام مضطربة، فلم يتم التطرق إلى أي معلومات تخص الجزائريين. ويرجع سبب ذلك إلى أن الصحافة التركية كانت تستقي الأخبار المتعلقة بالجزائر من الصحافة الغربية ووكالة الأنباء. لأن الصحافة التركية في ذلك الوقت لم يكن لديها القوة ولا الإمكانيات التي تسمح لها بجمع الأخبار بنفسها." (يلماز، 2014، صفحة 53)

وباعتبار تركيا عضوا في حلف شمال الأطلسي منذ تاريخ 18 فبراير 1952م، فقد كان من الصعب مواجهة الاحتلال الفرنسي علنا، بحكم البرتوكولات التي تمنع انخراط أحد الأعضاء في أي نشاط أو مواجهة عسكرية ضد أحد الحلفاء ضمن نفس الحلف، إضافة الى الظروف والتحولات التي كانت تمر بها الدولة التركية بعد تفكك الخلافة العثمانية، واستحداث الجمهورية التركية سنة 1923م. إلا أنه كان هناك دعم غير مباشرة في عهد رئيس

الحكومة "عدنان مندريس" في ظل الجمهورية التركية الجديدة، بواسطة الحكومة الليبية باعتبارها وسيطا ومناصرا للقضية الجزائرية، تمثلت في شحنة من الأسلحة موجهة الى جيش التحرير. وقد استطاعت تركيا من تغيير سياستها الداخلية والخارجية بعد عقود من الزمن، ما سمح لها من تبوأ مكانة كإحدى القوى الصاعدة، ومن بين الاقتصاديات التي سجلت تطورا نوعيا في مختلف المجالات، ذلك ما مكنها من إعادة صياغة علاقات جديدة مع الدول الافريقية والعربية على وجه الخصوص وفي مقدمتها الجزائر، التي تمثل بعدا استراتيجيا وقطباً أساسيا في معادلاتها، وهذا نظرا للعمق التاريخي والترابط الثقافي والاجتماعي. وقد توجت العلاقات الجزائرية-التركية بإبرام اتفاقية صداقة بين الدولتين سنة 2006م، التي حققت بموجبها الدولة التركية وجودا بارزا في الجزائر، لاسيما في المجالين: الاقتصادي والاجتماعي. وعليه فقد "استطاعت تركيا بوصفها إحدى القوى الصاعدة في النظام الدولي الجديد، أن تحقق وجودا لها في الجزائر، كغيرها من القوى الإقليمية والدولية، وحققت مشاريع استثمارية متنوعة، كما طوّرت مبادلاتها التجارية مع الجزائر، وعززت من حضورها الاقتصادي والصناعي لدعم وتنشيط مختلف القطاعات، غير أن مستوى العلاقات لا يزال محدودا، مقارنة بالثقل الجيوسياسي للبلدين، فكلهما في حاجة إلى الآخر نظرا لما تقتضيه التحولات الجيوبولتيكية العالمية الراهنة."

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، سنة 1931م.
- 2-الأنترنت: <https://mawdoo3.com>، حلا مرقه، مقال: خير الدين بربروس " أحد أشهر قادة الأساطيل العثمانية" كتبه في: 2022/06/14م
- 3-أرزقي شويتام، طبعة الحكم العثماني في الجزائر(1519م-1830م)، جامعة الجزائر2، مجلّة التاريخ المتوسطي، العدد01، جوان2022.
- 4- بسام العسلي، خير الدين بربروس، دار النفائس، بيروت، ط1، سنة1980م.
- 5-مبارك بن محمد الميلي، تقديم وتصحيح محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة1940م.
- 6-محمد العيد مطمر، التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي وأثره على الحالة الاجتماعية للسكان بمنطقة الأوراس، مجلة العلوم الإنسانية العدد4، جامعة محمد خيضر بسكرة (كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية)، ماي 2003م.
- 7-هلايلي حنفي، بابا عروج وبدايات تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة، مجلة عصور، العدد1، الحجم 16، سنة2017.
- 8-ناصر الدين سعيدوني، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر اثناء العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 9-يوسف صاريناي وآخرون، ترجمة فاضل بيات ويشار محمد صالح الشريف، الجزائر في الوثائق العثمانية، المديرية العامة لدور المحفوظات-رئاسة دائرة الأرشيف العثماني (رقم المنشور115)، أنقرة، 2010م.
- 10-ياسين يلماز، العلاقات التركية الجزائرية من الاحتلال الفرنسي الى ثورة التحرير1830-1962م، مجلّة معارف عدد17، جامعة يلدريم بايزيد أنقرة، سنة2014م.